التخطيط اللغوي - مترجم عن الانجليزية -

الدكتور جوناثان بول

(عن نشرة "الرسالة الاخبارية للتخطيط اللغوي" التي يُصدرها المركز «الشرقي/الغربي» لمعهد التعلم الثقافي – في هونولولو ، هواي)

كانت للتخطيط اللغوي أهمية واضحة في الاتحاد السوفييتي منذ البداية ، وكان في بعض الاحيان موضوع قرارات تتخذ على أعلى المستويات السياسية . وترتبط السياسة اللغوية في الاتحاد السوفييتي ارتباطاً وثيقاً بالسياسة القومية ، وهذه بدورها احد مظاهر اختلاف الاديان ، ولا سيما أن درجة عالية من الصمود والتطور في اللغات المتميزة عن الروسية يمكن مشاهدتها في منطقة آسيا المركزية والقفقاسية التي تقطنها جماعات غفيرة من الشعب تتكلم بلغات تركية بعيدة عن الروسية ، ولها ثقافات تراثية يحكمها الاسلام وهذه كذلك جد مباينة للثقافة الروسية .

وعلى هذا الصدد سوف تقتصر ملاحظات شخصية لي تكونت خلال زيارة اسبوعين لهذه المنطقة في نيسان (أبريل) 1975 ، ضمن المنهاج المتبادل بين أكاديمية العلوم الوطنية الامريكية واكاديمية العلوم السوفييتية. وقد قضى الكاتب اسبوعاً واحداً في باكو وأذربايجان واسبوعاً واحداً في عشقاباد وتركمنستان .

ان العمل (الاجتماعي اللغوي) يتم في موسكو و في مدن الجمهوريات الاخرى،إلا أنه في الغالب نظري في موسكو . أما في اماكن مثل باكو وعشقاباد فيأخذ التخطيط اللغوي الاسبقية على (الثقافة اللغوية) . واما الثقافة اللغوية فان اتجاهها غالباً نحو الصياغة والتزويد باللوازم .

وتتضمن اهداف المخططين اللغويين ألفبة اللغات القومية (والمقصود هنا الاذربايجانية والتركمنية)،وتعبيرها وتطوير تقنية وضع مصطلحاتها ؛ مع تأليف الكتب المدرسية ونشرها في هذه اللغات ، وتدريب معلمي هذه اللغات ، وتدريب فئة العلميين على الاكثار من ممارسة العمل بهذه اللغات ، وتسجيل لهجاتهم المضمحلة .

ان المخططين اللغويين في باكو أذربايجانيون بوجه عام وفي عشقاباد تركمنيون ، وهم من الاهلين الناطقين

باللغات التي يخططون لها ، ويعملون في مختلف الجامعات والاكاديميات العلمية في الجمهورية ولا سيما ما يختص منها باللغة والادب . وبينما يؤلف بعض المخططين اللغويين معاجم لا تنفك تتوسع للغات القومية يؤلف آخرون ارشادات لتوضيح كيفية الاستعمال بين جمهور المعنيين وتساعد على اتساقها مع الفصحى .

ان المخططين اللغويين في اذربايجان وتركمنستان جادون في عملهم بإغناء لغتهم وتوسيع مهماتهما الاجتماعية وان احدى المسائل القليلة التي تستثير الاهتمام العاطفي في باكو هي : هل ستستعمل الاذربايجانية في المستقبل كلغة علم كما هي الآن ، أو على نطاق أوسع أو أضيق؟ لقد وجدت الاساتذة الاذربايجانيين يتحمسون في ادعائهم ان لغتهم سيكون دورها «أمجد» في المستقبل مما هو الآن ، وعرضوا فخورين الكتب المدرسية الجامعية التي دونوها بالاذربايجانية ، برهاناً على دعواهم. وقد دعمت رأيهم معروضات متحف التاريخ الاذربايجاني التي توضح كيف استقر الشعب الاذربايجاني منذ قرون عديدة على ارضي الجمهورية الحالية، وقاسوا الكثير من الغزوات ، وسلبهم الفاتحون الكثير من الاشياء ولكنهم لم يفقدوا لغتهم التي —على العكس— فرضت نفسها على الفاتحين .

في بعض الاحيان تعارض السياسة السوفييتية نزعات (الترويس) (1) لدى السكان ، من ذلك ان المنشورات الاذربايجانية والتركمنية تحذر من التمادي في اقتباس الالفاظ الروسية حين يكون في مقدور مصادر اللغة المحلية الإتيان بالكلمة المطلوبة . ان اللغة الادبية الفصحى الاذربايجانية والتركمنية لا تستعمل الضمائر الروسية ،ولو أن الاذربايجانيين والتركمنيين من المزدوجي اللغة ، يستعملون بعض الالفاظ الروسية في أحاديثهم الدارجة .

ومن ناحية اخرى ، ما من احد يحاول ان يتظاهر بأن العلاقات متكافئة بين الروسية واللغات السوفييتية الاخرى . لا لأن الاهتمام بتعلم الروسية من قبل غير الروسيين أكبر من الاهتمام بتعلم الاذربية والتركمنية وغيرهما من قبل الروسيين فقط ، ولكن لان الروسية تعد كذلك مصدراً لإغناء اللغات الاخرى اكثر كثيراً من العكس . ومن المقبول بوجه عام ان التعابير الحديثة في اللغات التركية(2)التي لا تقوم على اسس اللغة الاهلية سوف تستعار من الروسية . وتستثنى من ذلك الجذور التي لها استعمال عالمي ولا تستعمل في الروسية . مع هذا اذا كانت الروسية تستعمل الجذر العالمي في صيغة محرفة فالصورة الروسية لا العالمية هي المأخوذ بها . (وشبيه بهذا موقف التركية من الفرنسية مثلا) .

إن باكو أشد تمسكا بمبدإ الاخذ باللغة الاذربايجانية من عشقاباد في استعمال التركمنية ،فاللافتات العامة أكثر إصراراً على الازدواجية في باكو ، وحصص الاذاعات باللغة القومية أكثر ، إلى حد ملحوظ . وهذا طبيعي لان باكو تتألف من 46 ٪ من الاذربايجانيين و 28 ٪ فقط من الروسيين ، بينما يوجد في عشقاباد 43 ٪ من الروسيين و 38 ٪ فقط من التركمنيين (1970) . كذلك بدأ الاهتمام اللغوي مبكراً في أذربايجان ، حتى ليقول المخططون اللغويون التركمنيون أنهم استدعوا خبراء أذربايجانيين لمساعدتهم في البداية . يضاف إلى هذا أن المخططين اللغويين يتدربون في كل جمهورية دون أن يغادروا جمهورياتهم للدراسة عن طريق وسيط آخر غير لغتهم .

والآن حيث يوجد العدد الكافي من المتخصصين القوميين في اللغات الاجنبية كذلك ، أكد لي اللغويون

(1) أي تغليب الروسية على اللغات الاخرى .
(2) اي التركمنية والاذربية .

الاذربيون أن كل أحد يوافق على مبدأ ترجمة الادب الاجنبي إلى اللغات القومية مباشرة ، لاكما اعتاد البعض أن يقترح ، عن طريق الترجمات الروسية لذلك الادب .

و لم يخش الزملاء أن يختلفوا بعضهم مع بعض بحضوري في عشقاباد . مثلا سألت اثنين من اللغويين : لوالتقى بعد عشرين سنة من اليوم روسي وتركمني في أحد شوارع عشقاباد فهل الارجح أن يتكلما بالروسية أم بالتركمنية ؟ قال احدهما : بالروسية . لكن الآخر ، الذي أشار إلى أن أفراد القوميات الاخرى في عشقاباد يرسلون الآن أولادهم الى المدارس التركمنية (لا الروسية)، يشعر أن المد قد أخذ بالانحسار ويرى أن المواطنين المفترضين سوف يتكلمان حين يلتقيان في شارع عشقاباد باللغة التركمنية على الاغلب .

وقد نشبت خلافات أخرى ولو أنها أهون شأنا ، حول مدى الاصلاح اللازم في ضبط إملاء اللغات التركمنية . ويعتقد اللغويون في كل من الجمهوريات أن من شأنهم أن يقرروا أي تغيير وكيف ومتى يكون في لغاتهم ، فاذا قررت جمهوريتان حل مشكلة املائية بطريقتين مختلفتين فان ذلك يعد ثمناً زهيداً في سبيل الحفاظ على اللغة القومية .

من الطبيعي أن المناقشة لاتقع بين المخططين اللغويين وحدهم ولكن بينهم وبين مستعملي اللغة أيضا ، إن قرارات دواوين المصطلحات والثقافة اللغوية تكون لها أحياناً قوة القانون (أي لجنة المصطلحات في أكاديمية العلوم في الجمهورية الاذربايجانية) وأحياناً لاتكون . لكنها في كلتا الحالتين تكون متبناة على المناقشات والمذاكرات التي تسبق سن التشريع وهي مسهبة جداً في بعض الاحيان. وعندما تتخذ بشأنها المقررات قد تعقبها المقاومة او الاعتراضات من قبل الادباء والمذيعين وغيرهم ثم تليها المساعي للاقناع أو اعادة النظر . وهذا المسار قد يكون مشابهاً لما يقع للدواوين التخطيط اللغوي في الاقطار الاخرى .

ويهتمون كثيراً في المدارس بنجاح تعلّم اللغة ، والذين لاقيتهم من المعلمين اللغويين المحترفين ، سواء للروسية أو غيرها من اللغات ، وسواء في مدارس باكو وعشقاباد أو قسم الانكليزية في جامعة الدولة بموسكو، متحمسون لمهنتهم ويبدوأنهم يحسنون أداءهاكل الاحسان. ولا جدال في أن الروسيين خارج المناطق الروسية عليهم أن يتعلموا اللغة القومية المحلية ، وكذلك العكس ، ولو خارج الجامعة. فمثلا في تركمنستان يتعلمون الروسية في المدارس التركمنية في الفصل الثاني، بينما يبدأ تعلم التركمنية في المدارس الروسية في الفصل الخامس . وقد فسروا لي هذه التفرقة بأنها نتيجة كون الروسية أشد صعوبة من التركمنية .

ومما استطعت أن أراه وجدت أن تعلم الروسية في المدارس غير الروسية ، واللغات الاجنبية على العموم ، يتم بالتخاطب المباشر ، عن طريق الاتصال باللغة الحية والمتكلمين بها .

والمخططون اللغويون السوفييت يعتبرون تجربتهم في هذا المضمار خلال العقود الستة الاخيرة من السنين ، منبعاً فريداً من المعلومات والخبرة لزملائهم في الخارج. وسواء أكانت السياسة اللغوية السوفييتية تصلح نموذجاً للسياسة اللغوية في أقطار اخرى أم لا تصلح ، فان المخزن المتنوع من المعطيات التي استنبطتها الجهود السوفييتية في التخطيط اللغوي يمكن الانتفاع بها في اماكن اخرى كمعلومات عن السياسة اللغوية.وستكون مفيدة في مجال تنمية تبادل المعلومات بين الخبراء السوفييت وغيرهم في هذا المضمار.